مركزية المعنى في اللسانيات العرفانية بحث في النشأة والأسس

محمد عبد الله محمد محمود ابريكه
طالب دكتوراه: مكونة اللغة العربية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة نواكشوط

الملخص:

ظهرت اللسانيات العرفانية في أواخر القرن العشرين وأخذت حيزا كبيرا في الدراسات الألسنية المعاصرة، ذلك أنها جاءت عقب سنوات كانت حافلة بالعطاء في مجال دراسة اللغة في مختلف مستوياتها، حيث كان القرن العشرين درس أثراء ونشر لمعارف لسانية كبيرة شكلت فتحا في معرفة اللغة وأسرارها واكتشاف المشترك بين اللغات البشرية، وقد جاءت هذه المدرسة عقب المدرسة التوليدية التي ملأت أسماع اللسانيين وشغلت الناس وسال مداد كبير حولها، وهناك قواسم مشتركة بين المدرستين بل إن البعض يعتبر المدرسة العرفانية هي مدرسة توليدية مطورة، إلا أنه رغم ذلك توجد بعض الاختلافات بين المدرستين، ولعل من أهم تلك الاختلافات قضية مركزية / أو لا مركزية التركيب في الدرس اللغوي، حيث ترى المدرسة التوليدية أن التركيب يعتبر المكون الأساسي والمحوري في اللغات الطبيعة، في حين ترى اللسانيات العرفانية أن التركيب مثل أي مكون من مكونات اللغة الأخرى كالأصوات والدلالة، وإن دراسة اللغة ينبغي أن لا تفرق بين المستويات اللغوية المختلفة فهي مجتمعة تشكل اللغة وبواسطة العمليات الذهنية يتمكن الإنسان من إنشاء اللغة الدالة وإن كان لبعض هذه المكونات أهمية على المكونات الأخرى فلا شك أن المعنى سيعتبر المكون المركزي في عملية إنتاج وتأويل اللغة.

المقدمة

تعد اللسانيات العرفانية من أحدث المدارس اللسانية في العصر الحالي، حيث نشأت في السبعينيات من القرن العشرين، وكانت أفكارا وآراء انبثقت عنها المدرسة التوليدية التي ورثت الدراسات اللسانية في الولايات المتحدة الأمريكية، إلا أن العرفانيين رغم النشأة في ظلال المدرسة التوليدية كانت لهم أراء ومرتكزات تخالف المدرسة التوليدية مما جعلها مدرسة لسانية مستقلة، وتملك اجتهادات وآراء مختلفة عن تلك التي للمدرسة التوليدية وآرائها اللغوية، وإن اتفقت معها في بعض تلك الآراء.

ولعل من أهم الاختلافات بين المدرسة التوليدية والمدرسة العرفانية الرأي المتعلق بقضية المعنى، حيث لم يجد المعنى في الدراسات التوليدية حيزا كبيرا، ذلك أن هذه المدرسة انطلقت في دراستها للغة

من نظرية ترى أن التركيب يعتبر المرتكز الأول في دراسة اللغة، أما المعنى فيلعب دورا تأويليا لا حقا على التركيب.

أما اللسانيات العرفانية فترى أن المعنى لا يلعب دورا تأويليا فقط في اللغة، وإنما هو الأساس الذي ينبغي أن ينطلق منه اللساني في دراسته، فاللغة معنى قبل أن تتجلى في بنيات تركيبية، بل إن المعنى هو الأساس الذي من خلاله يبدع الكائن اللغوي وينشئ لغة تمكنه من إيصال الرسالة التي يود أن يبين عنها بواسطة الألفاظ والتراكيب.

هذه الاختلافات الجوهرية في قضية المعنى من حيث مركزية / لا مركزية التركيب في الدرس اللساني لا تمنع من وجود تشابهات كثيرة بين المدرستين اللسانيتين، فكما أسلفنا اللسانيات العرفانية الجديدة مدرسة نشأت في إطار المدرسة التوليدية وانبثقت من رحمها، فأغلب رواد هذا المنهج اللساني الجديد هم من أصحاب المدرسة التوليدية أو من طلاب بعض أساتذة تلك المدرسة.

وانطلاقا من هذه الحقيقة سنتناول في هذا المقال هذه القضية من خلال محورين:

المحور الأول: نشأة اللسانيات العرفانية

المحور الثاني: المعنى والتركيب أي منزلة

نشأة اللسانيات العرفانية:

يمكن القول إن اللسانيات العرفانية إحدى أكثر مدارس اللسانيات انتشارا في الوقت الحاضر، وتقدم نفسها على أنها دراسة علمية للغة، وقد حظيت باهتمام الكثير من الباحثين المعاصرين في مجال اللسانيات النظرية والوصفية، فهي إطار نظري جذاب استقطب الكثير من الاهتمام وذلك لجدتها ولكونها" أحد مجالات البحث المثيرة ضمن المشروع المتعدد الاختصاصات للعلوم العرفانية، ولعل جزءا من جاذبية هذه المقاربة يتأتى من كونها تهدف لإيجاد منوال يدمج اللغة والفكر معا لبناء نظرية صارمة للمعنى اللساني"[1]

فاللسانيات العرفانية تعد من أحدث المدارس اللسانية المعروفة اليوم، وقد عرف هذا المنهج في كونه مقابلا للاصطلاح المعروف (Cognitive Linguistics) والذي يتفرع منه علم الدلالة الإدراكي (Cognitive Semantics) وقد عرف هذا المصطلح إبان ظهوره بثلاث مقابلات عربية أحدها هو العرفانية ثم الإدراكية ثم العرفنية، هذه المصطلحات الثلاث نجدها في مختلف الدراسات العربية المهتمة بهذا الموضوع، ونرى الباحثون الذين اقترحوا هذه المصطلحات كل منهم يبرر لم اختار هذا المصطلح دون ذاك.

[1] الحباشة، صابر" المشترك الدلالي في اللغة العربية مقاربة عرفانية معجمية" بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه كلية الآداب بجامعة منوبة تونس 2009 طبعة دار الكتاب الجديدة بيروت 2015، ص 17

ومهما يكن المصطلح فإن اللسانيات العرفانية اليوم هي الشغل الشاغل في المدارس اللسانية المعاصرة، وقد استمد هذا العلم مفاهيمه ومصطلحاته من العلوم الإدراكية واسعة النطاق" إن اللسانيات الإدراكية لها علاقة باللسانيات النفسية، واللسانيات الذهنية، والمهارات الإدراكية، وفلسفة الذهن، والذكاء الاصطناعي وعلم النفس الإدراكي، ولها تحقق في ظواهر إدراكية وذهنية كثيرة "[1]

إن من أبرز رواد هذا العلم الباحثون اللغويون (لايكوف /Lakoff) و (تايلور /Tylore) و(لانغاكر /Langacker) حيث ظهرت كتاباتهم في السبعينات خاصة منها ما يتعلق بالدلالة والمعنى، فكانت آراؤهم بمثابة التأسيس لهذا المنهج الدلالي الجديد، والذي اعتبر إبدالا في النظر إلى اللغة وثورة على المناهج الدلالية التي سبقت هذا المنهج، حيث يرى أصحاب هذا المنهج أن النظر إلى اللغة لا ينبغي أن يكون مستقلا عن الوظائف الذهنية الأخرى كالتفكير والإدراك العقلي، فهي ليست عنصرا مستقلا عن التفكير العام كما روجت لذلك المناهج اللغوية السابقة،" إذ ساد لعقود عديدة مفهوم كان للتوليديين الريادة في نشره، مفاده أن جزءا خاصا من العقل البشري الذي سموه (الملكة اللغوية /Languagefaculty) يتكفل مسؤولية إنشاء المفاهيم اللغوية وتنظيمها، وهو بمعزل عن الأجزاء الأخرى المسؤولة عن الأفعال الذهنية الأخرى، وكانت (لتشومسكي /Chomsky) والفيلسوف (فودور /Fodor) اليد الطولى في الترويج لهذا المفهوم "[2]

وقد كان هذا العلم ثورة على التوجه البنيوي الذي يرى أصحابه أن اللغة عادة اجتماعية مكتسبة مستندين في ذلك على المذهب السلوك النفسي، القائل باقتران عملية الحافز والاستجابة القائمة بين الدال والمدلول، فيرى علم اللغة العرفاني أن اللغة جزء من الإدراك العام، ولا فرق بين المعرفة اللغوية والمعارف الذهنية الأخرى ، فليست مستقلة عن القدرات الذهنية الأخرى كالتذكر والانتباه والتعلم ...الخ ولذا فصل البنيويون في دراستهم بين المستويات اللغوية مثل الصوت والصرف والتركيب معتبرين الدلالة أمرا غير محسوس وبالتالي يصعب إدراكه، في حين يرى أصحاب المنهج العرفاني أن اللغة يجب أن تدرس بشكل متكامل، واعتبروا الدلالة هي المنطلق والمرتكز في دراستهم للغة، وهذه النظرية التكاملية اعتمدها أصحاب النظرية الوظيفية معتبرين اللغة قائمة على مبادئ إدراكية أعم، وبأن التحليل اللغوي يجب أن يتخطى الحدود الفارقة بين المستويات اللغوية، لذا أن الاختلاف الواقع بين اللغة كونها نتاجا عقليا، وبين الأفعال العقلية الأخرى اختلاف في الدرجة وليس في النوع،

---

[1] دلخوش جار الله حسين" علم الدلالة الإدراكي المبادئ والتطبيقات" مجلة الآداب جامعة أربيل، العدد 110،ص 51

[2] المرجع السابق ص 56

وعليه أغفلت هذه البحوث الفارق الذي يكون بين المعرفة اللغوية والمعرفة الموسوعية أو المعرفة بالحياة الواقعية، مما يستدعي انصهار القدرة اللغوية في القدرات العقلية الأخرى

" من هنا فاللسانيات العرفانية تهتم بدراسة اللغة في ضوء العمليات الذهنية العرفنية، حيث يتضافر فيها الذهن والذكاء مع العلوم الأخرى الفلسفة والذكاء الاصطناعي وعلم النفس وعلوم الأعصاب واللسانيات الأنثروبولوجية"[1]

إن هذا التيار اللساني العرفاني في دراسة اللغة قام على نقد تيارات سابقا نقدا منهجيا بالأساس، فخروج على المنهج الإجرائي القائم على الوصف التوزيعي والبنيوي، وعلى المنهج الشكلي بما في ذلك الأنحاء المركبية والتحويلية والمقولية الرياضية وعلى المنهج المنطقي القائم على الشروط الضرورية الكافية، أو شروط الصدق، وقد انتشر بشكل واسع على المستوى الدولي، مصحوبا بحركة لسانية معرفية ضخمة، وقد اكتسبت اللسانيات العرفانية شرعيتها مع إنشاء الرابطة الدولية للسانيات العرفانية.

" إن اللغة من منظور اللسانيات العرفانية لا تنفصل عن الخبرة الإنسانية التي تشكلها التجربة والتي تؤثر في الطريقة التي ندرك بها الأشياء، ونصوغ بها مفاهيمنا المختلفة، والتعبير عن الأشياء والمفاهيم، وهو بعد لغوي يتأثر بلا شك بكيفية إدراكها، فاللغة ليست مستقلة أو مغلقة على ذاتها ولا يمكن وصف نظامها الداخلي وصوغ قواعده وقوانينه بمعزل من البنية التصورية أو المعرفية التي تؤسس لمبادئ عامة في الخبرة البشرية تؤثر مباشرة في المبادئ اللغوية المختلفة"[2]

إن ما يميز أصحاب هذا التيار عن أصحاب النظرية التقليدية، أن أصحاب النظرية التقليدية يهملون الخيال ولا يضعون له دورا أساسيا في عملية التفكير والإدراك، فالدراسات التقليدية في اللغة والفلسفة وعلم النفس، وهي ما يطلق عليها مصطلح الموضوعية(objectivism) ترى أن هناك بنية موضوعية للحقيقة وللعالم الخارجي مستقلة عن معتقدات البشر، وأنه لا بد لكي نصف هذه البنية أن نستعمل التفكير الموضوعي المنطقي الذي ليس للخيال فيه أثر.

لقد تجذر في الفكر الإنساني بعض المسلمات التي وجهت الدرس التقليدي، والتي تتمثل في أنه طرح الكثير من العوامل التي لا تتصف بالموضوعية ولا العلمية مثل الخيال والعاطفة وغيرها، فظهر عندنا بعض الثنائيات مثل: العقل والجسد، التفكير والخيال، العلم والفن، الإدراك والعاطفة، يتصف العنصر الأول منها بالموضوعية التي تحرص عليها الدراسات التقليدية، ويتصف الثاني منها بالذاتية التي تسعى هذه الدراسات إلى التخلص منها واجتنابها قدر المستطاع، غير أن الكثير ممن يشتغلون في

---

[1] الزناد، الأزهر" نظريات لسانية عرفنية" دار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2010، ص 15

[2] عماري، عز الدين" مفاهيم لسانية عرفانية" مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب مجلد 3 عدد خاص 2019، ص 65

هذا الحقل يرون أننا يجب أن نتجاوز هذه الثنائيات لكي نثري البحث اللغوي والنفسي والعلمي بشكل عام، فالخيال يعد قدرة إنسانية مهمة ذات أثر فاعل وعميق في تشكيل الفهم البشري وفي بناء المعرفة الإنسانية، فهو يمثل آلية أساسية من الآليات التي يلجأ إليها العقل البشري لفهم الأشياء من حوله، ولنقل هذا الفهم إلى الآخرين "[1]

ويرى علماء اللغة الوظيفيون وكذلك أصحاب المنهج العرفاني أن الفرق بين مستويات اللغة قد يكون نافعا بوصفه إجراء عمليا، إلا أنه لا يخدم المفهوم العام للغة، فمثلا لا يمكن دراسة الأمثلة النحوية مجردة عن السياق وقصد المتكلم، وبهذا فالدلالة حسب أصحاب المنهج العرفاني شرط في دراسة الألفاظ النحوية المجردة، ولا يمكن الاستغناء عنه في وصف الأمثلة النحوية،" وبهذا تهدف الدلالة الإدراكية إلى أن تعيد الدلالة إلى خضم النحو، ليكون النحو نحوا دلاليا لا شكليا معياريا لرؤيتهم القائمة على أن العقل هو أساس اللغة، ويستحيل ضبط اللغة بالقواعد المجردة، بل بالمواقف والاستعمالات المختلفة اللتين تحددان الدلالة المقصودة التي تتنوع بتنوع هذه المواقف والاستعمالات، وهذا ما دفعهم إلى ربط الدلالة بالتداولية وبالنحو، أي المزج بين جميع مستويات اللغة"[2].

وبالرجوع إلى معاجم المصلحات والموسوعات العلمية، نجدأنها تعرف العلوم العرفانية(sciencescognitive) بأنها: العلوم التي تستهدف وصف القدرات الذهنية للعقل البشري وقدراته من لغة وإدراك وتخطيط وربط ... وهذه العلوم نشأت منذ ما يربو على ثلث قرن أو أزيد، في سياق نشأة المعلوماتية، وتطور مفاهيم وتقنيات ترتبط بالمعالجة الآلية للمعلومة، هذه العلوم تتكون من حزمة برامج متعددة الاختصاصات علميا.

وتتبني العلوم المعرفية أو العرفانية كما يسميها بعض الباحثين، على مقاربتين تمثلان تصورين مختلفين لهذه العلوم؛ وصفا، وتفسيرا، وتمثيلا للظواهر المعرفية، هما المقاربة المعرفية والمقاربة الترابطية[3]

يعد علم الدلالة العرفاني من العلوم اللسانية الحديثة نسبيا، كماأسلفنا فهو من أكثر الدراسات اللسانية الحديثة انتشارا في الوقت الراهن، وتندرج ضمن اللسانيات الوصفية والنظرية، بوصفها إطارا ديناميا جذابا، يقتبس من العلوم العرفانية المتعددة الاختصاصات ما به يحاول أن يصوغ نظرية محكمة

---

[1] النجار، لطيفة إبراهيم" آليات التصنيف اللغوي بين علم اللغة المعرفي والنحو العربي" مجلة جامعة الملك سعود مج 17 سنة 2004، ص 6- 7

[2] دلخوش جار الله حسين" علم الدلالة الإدراكي المبادئ والتطبيقات"، م س، ص 57

[3] انظر الحباشة، صابر" اللغة والمرفة رؤية جديدة"، ط دار صفحات للدراسات والنشر، 2008، ص 9

للمعنى،" ولعل جزءا من جاذبية هذه المقاربة يتأتى من كونها تهدف لإيجاد منوال يدمج اللغة والفكر معا لبناء نظرية صارمة للمعنى"[1].

وتهتم اللسانيات العرفانية بدراسة العلاقات المتبادلة (بنيويا) كما تعنى بدراسة التفاعلات (على نحو فعال) بين اللغة (اللسانيات) والعقل (المعرفة والإدراك) إذ تتناول مسائل تأثير اللغة في المعرفة أو احتمالية انبثاق اللغة من وظيفة عرفانية غير لغوية، في هذا السياق تشير كاترين فان هوك (KarenvanHoek) إلى" أن اللسانيات العرفانية ليست نظرية مستقلة بحد ذاتها، وإنما هي نموذج إرشادي ضمن إطار اللسانيات، تضم بين دفتيها عددا من النظريات المتميزة فضلا عن عدد من برامج البحوث، كما تتميز أيضا بالتركيز على توضيح العلاقة الوثيقة المتبادلة بين اللغة وسائر القدرات العرفانية"[2].

وعلم اللغة العرفاني بحسب جيراتز (dirk geeraerts) وهيوبرت كيوكنز (Hubert cuyckens) يهتم بدراسة اللغة في ضوء وظيفتها العرفانية، ذلك أن البنى المعلوماتية الاتصالية تقوم بدور فعال في إطار تفاعلاتنا مع العالم، وهو ما يدل عليه مصطلح (عرفاني cognitive)ورغم التقارب الحاصل بين علم النفس العرفاني وعلم اللغة العرفاني غير أن الأخير يبدو أكثر تحديدا من خلال التركيز على اللغة الطبيعية" فهو ينظر إلى اللغة الطبيعية بوصفها مستودعا للمعرفة الكونية، تضم مجموعة (مقننة) من الأنساق ذات المعاني التي تعيينا على التعامل مع الخبرات الجديدة، كما تساعدنا كذلك على تخزين المعلومات ذات الصلة بالخبرات الماضية"[3]

وتعد من المهمات الأساسية لعلم اللغة العرفانيالبحث عن إقامة حقيقة عرفانية لمختلف أنواع الخطاطات التي تتحكم في علاقات المعنى عبر أشكال لسانية متطابقة، تماما كفحص القيود المفهومية الممكنة لعدد المعاني المشتركة دلاليا ولضروب تلك المعاني.

ويدرس علم الدلالة العرفاني العديد من الجوانب اللغوية المختلفة، مثل علم الدلالة ومباحث الاستعارة وأبواب النحو والكثير من الجوانب اللغوية الأخرى ذات الصلة بالتفكير، ولما كان هذا الحقل اللغوي متداخلا مع حقول معرفية أخرى، فإنه يستقى أفكاره من كل من الفلسفة وعلم الأحياء العصبي وعلم النفس وعلم الحاسب الآلي وغيرها، ومن ثم يتضح لنا ميل علماء اللغة إلى تطوير أفكارهم استنادا

---

[1] الحباشة، صابر" المشترك الدلالي في اللغة العربية مقاربة عرفانية معجمية "، ص 17

[2] الحباشة صابر،" المشترك الدلالي في اللغة العربية مقاربة عرفانية معجمية"، ص 17

[3] المرجع السابق نفس الصفحة

إلى مناهج البحث التجريبية، كما يسعون إلى الوصول إلى إيضاحات تتناسب مع الفهم الحديث للعقل البشري.

والمبدأ الجوهري الذي يشكل عاملا محفزا لهذا النمط اللغوي، يقوم على أن تعلم اللغة وابتداعها واستخدامها لا تتضح معالمه إلا من خلال الإشارة إلى المعرفة البشرية على وجه العموم، فاللغة لدى العرفانيين تتموضع وتتجسد في مناطق أحيائية محددة، وهذا الرأي يمكن أن نعتبره صيغة مطورة لفرضية(سابير / وورف sapir- whorf Hypothesis)[1]

فاللغة والمعرفة انطلاقا من هذا يمكن الاستدلال على تأثير بعضهما في بعض بشكل تبادلي.

المحور الثاني: المعنى والتركيب أي منزلة

لقد كانت المدرسة التوليدية تعطي للتركيب دورا محوريا باعتباره هو المكون الأساسي والمبدع في اللغة، فبواسطة قواعد النحو الكلي يمكن للإنسان أن يبدع ما لا حصر له من الجمل وبالتالي فالجهاز العصبي الذي يولد مع الإنسان هو الذي يقوم بدور التوليد والإبداع والخلق في اللغة عند التوليديين، أما المكونات الأخرى كالصوت والدلالة فإنها تلعب أدوار تأويلية ثانوية

وكما بينا سابقا فالمدرسة العرفانية نشأت وظهرت بعد المدرسة التوليدية، بل إن رواد هذا المنهج هم تلامذة نعوم تشومسكي من أمثال رأي جاكندوف، حيث قامت اللسانيات العرفانية بوصفها انتقادا للنظرية التوليدية التي تعطي الاهتمام للمكون التركيبي باعتباره المكون الأصلي للغة، في حين تعتبر المكون الصوتي والمكون الدلالي مستويات ثانوية، تقوم أساسا بدور تأويلي للمكون التركيبي، يقول جاكندوف" ونعود إلى ما أعتقد أنه الخطأ الذي يقع في صلب النحو التوليدي، أقصد الخطأ الذي يقف وراء ابتعاد النظرية اللغوية عن العلوم العرفانية واغترابها، فقد برهن تشومسكي على أن اللغة تتطلب نسقا توليديا يسمح بإنتاج ما لا حصر له من الجمل المتنوعة، لكنه دافع دون دليل في كتاب المظاهر عن أن خاصية التوليدية هذه توجد في صلب المكون التركيبي للنحو بناء المركبات من الكلمات وأن الصوتيات (نظام أصوات الكلام) والدلاليات (نظام المعنى) هما مكونان تأويليان فقط، أي أن خصائصهما التأليفية لا تعد أصلية بل مشتقة بكيفية صارمة من تأليفية التركيب"[2].

---

[1] هي فرضية تقول إن أفكار وأفعال الفرد تقررها اللغة أو اللغات التي يتحدث بها، النسخة المتشددة من هذه الفرضية تنص بأن كل أفكار الإنسان وأفعاله مكبلة بقيود اللغة لكن هذه النسخة عموما أقل قبولا من النسخة الأضعف التي تقول بأن اللغة تقوم بوضع أفكارنا وسلوكنا في قوالب معينة، ينظر رؤى الشيخ" الوورفانية فرضية سابير وورف" مجلة العلوم الحقيقية العدد 32 مقال منشور على موقع real-science.com

[2] المرجع السابق ص 131

وهكذا فمع ظهور المقاربة العرفانية لم يعد التركيب يحتل الصدارة في تصور اللغويين للغة، والطريقة التي يبدع بها الكائن البشري اللسان، بل أصبحت العمليات الذهنية المختلفة، والتي تؤسس لمختلف التراكيب النحوية الصدارة،" ذلك أنه ما دامت هذه العمليات الذهنية عمليات منتظمة لا تخص اللغة وحدها فإن صيغ القواعد لم تعد لها أهمية تذكر، ولذلك وقعت إزاحتها وحل محلها التمييز بين مجموعة من العناصر والتمثلات من ناحية، والآليات الذهنية العرفانية التي يستخدمها كل من المتكلم والسامع في معالجة تلك التمثلات من ناحية أخرى"[1]

" أضف إلى ذلك أن إعادة الاعتبار إلى المعنى والدلالة وضعها في المنزلة الأولى سيؤدي إلى النظر إلى النحو لا باعتباره مجموعة من الآليات التي تسمح بإنتاج تراكيب سليمة des structures grammaticales وإنما على أنه قائمة من الأبنية الاصطلاحية التي تسمح بتصنيف المعاني والدلالات، وبذلك سيصبح النحو مجرد دراسة للعلاقات التي تربط بين متتاليات صوتية ودلالات.

فاللغة عند العرفانيين وعند لانغاكر خاصة مسترسل من الأبنية الرمزية، وكل الوحدات اللغوية، ما كان منها معجميا أو صرفيا أو تركيبيا، وحدات رمزية تربط بين قطب دلالي وقطب فونولوجي ولا يمكن الفصل بين مختلف مستوياتها.

أما النحو فهو قائمة منظمة من الأبنية اللغوية التي تواضع عليها متكلمو اللغة والتي تمثل المعرفة المشتركة التي لكل منهم بشكل اصطلاح لغوي قائم متفق عليه"[2]

وقد اتخذت اللسانيات العرفانية مواقف من النظريات السابقة التي تحدثت عن اللغة بشكل عام والدلالة بشكل خاص، من تلك المواقف ما عبر عنه اللسانيون خاصة في نظرية النحو العرفاني والتي هي في الأصل نظرية دلالية، وإن اهتمت بالنحو، فاللسانيات العرفانية لا ترى أن الفصل بين التركيب والدلالة هو المنطلق الصحيح لدراسة اللغة، ولذ فإن النحو العرفاني نظرية دلالية شاملة، وقفت منذ ظهورها في وجه التصورات والاعتبارات والمسلمات التي هيمنت على أغلب النظريات اللسانية الحديثة،" وسنحاول فيما يلي استعراض أهم هذه الاعتبارات والمسلمات التي يرفضها النحو العرفاني:

1. يرفض النحو العرفاني التصور الذي فصل بمقتضاه عدد من اللغويين بين مختلف المستويات التي تساهم في بناء المعنى وتشكيله، هذا التصور الذي جعل عددا من اللغويين يفصلون بين مستوى بينة

---

[1] ابن غربية، عبد الجبار" مدخل إلى النحو العرفاني"، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، منوبة تونس ط 1، مسكيلياني للنشر والتوزيع 2010، ص 18

[2] ابن غربية، عبد الجبار" مدخل إلى النحو العرفاني"، م س، ص 18

الكلمة ومستوى بينة الجملة ومستوى المعجم ومستوى الدلالة إلى غير ذلك من المستويات التي تساهم معا وفي الآن ذاته في تشكيل المعنى.

2. يعتبر النحو العرفاني أن للغات الطبيعية نظاما يختلف كل الاختلاف عن النظام الذي يميز اللغات الاصطناعية والذي يقوم على مجموعة من المبادئ والمقوّمات الرياضية المنطقية.

3. يرفض النحو العرفاني كذلك المبادئ التي تعتبر أن دراسة معاني الوحدات والأبنية اللغوية لا تكون إلا بربطها بالعالم الخارجي الذي يعيش فيه المتكلم والسامع، ويؤمن أنصاره بأن المعاني اللغوية ينبغي أن تدرس باعتبارها قائمة على مجموعة من العمليات الذهنية التصورية لا باعتبارها موافقة أو مخالفة لحقيقة أو لمجموعة من الحقائق القائمة في العالم الخارجي"[1].

انطلاقا من رفض النحو االعرفاني لهذه المبادئ السابقة، يري أصحابه أن المعنى لا يتمثل فقط في العلاقات الكائنة بين الألفاظ اللغوية والعالم الخارجي، بل إن الأولوية في دراسة المعنى ينبغي أن تكون للعمليات الذهنية التي تنظم المعنى وتصوغه، وبالتالي ينبغي أن نركز على الطريقة التي يلجأ إليها المتكلم لتشكيل المعنى أو لإعادة تشكيله،" وهكذا فإنه لم يعد تصور دراسة اللغة ممكنا إلا في نطاق رؤية قائمة على تشكيل المعنى، وذاك ما أدّى بالنحو العرفاني إلى الاعتراض على فرضية الاستقلال المزدوجة التي أسست النحو التوليدي، كما أسّست مختلف النظريات النحوية الجديدة التي ظهرت في الثمانينات خاصة والتي حاول أصحابها اجتناب بعض التعسف الذي وقع فيه التوليديون، دون التخلي تماما عن المسلمات الرئيسية التي أقاموا عليها تصورهم للدراسة اللغوية"[2]

"ونعني بفرضية الاستقلال المزدوجة فرضية استقلال اللغة واستقلال تحليلها عن تحليل القدرات العرفانية الأخرى من ناحية، وفرضية استقلال المكوّن التركيبي عن باقي المكوّنات الذي ترتب عنه القول بمكانة التركيب المركزية في دراسة اللغة"[3]

الخاتمة

في الأخير يمكن القول إن اللسانيات العرفانية هي تطور للسانيات التوليدية تشترك معها في الكثير من المسائل، ولعل أهم تلك المسائل القول بأن المعرفة اللغوية معرفة قبلية، أي أنها تولد مع الإنسان، وإن اختلفت المدرستان في الطريقة التي تفسر بها كل منهما المعرفة القبلية للغة، فهي عند التوليديين جهاز يولد مع الإنسان، أي نحو كلي يولد الإنسان وهو يحمله وبالتالي يستطيع هذا النحو الكلي أن

---

[1] بن غربية، عبد الجبار، " مدخل إلى النحو العرفاني "، م س، ص 29

[2] بن غربية، عبد الجبار، "مدخل إلى النحو العرفاني "، م س، ص 35

[3] المرجع السابق ص35

يتكيف مع أي لغة بشرية كانت وحفظها والإبداع في توليد ما لا حصر له من الجمل الصحيحة في ذلك اللسان، أما أصحاب المدرسة العرفانية فيرون أن المعرفة اللغوية هي جزء من الإدراك العام مثل التذكر والتخيل وغيرها من المعارف الإنسانية التي تولد مع الإنسان.

ولعل أهم الاختلافات الجوهرية بين المدرستين هو المنزلة التي يحتلها التركيب داخل كل مدرسة، ففي حين يرى أصحاب اللسانيات التوليدية أن المكون التركيبي يعد المكون المركزي والأساسي في اللغة، حيث أنه مجموعة من القواعد الصورية التي بواسطتها يمكن للإنسان أن يولد ما لا حصر له من الجمل الصحيحة في لغته، يرى أصحاب المذهب العرفاني أن التمييز بين مستويات اللغة غير صائب، بل إن التركيب والصوت والصرف والدلالة كلها تعمل في شكل منتظم، وإنما يبدع اللغة هو تلك العمليات الذهنية التي بواسطتها ينظم الإنسان المعاني وينشئ المفاهيم ويربطها بالمسميات.

المصادر والمراجع

الحباشة، صابر: المشترك الدلالي في اللغة العربية مقاربة عرفانية معجمية" بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه كلية الآداب بجامعة منوبة تونس 2009 طبعة دار الكتاب الجديدة بيروت 2015

:" اللغة والمرفة رؤية جديدة"، ط دار صفحات للدراسات والنشر 2008

دلخوش جار الله حسين: علم الدلالة الإدراكي المبادئ والتطبيقات"، مجلة الآداب جامعة أربيل، العدد 110

الزناد، الأزهر. نظريات لسانية عرفنية" دار العربية للعلوم ناشرون ط1، 2010

عماري، عز الدين مفاهيم لسانية عرفانية" مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب مجلد 3، عدد خاص 2019

النجار، لطيفة إبراهيم" آليات التصنيف اللغوي بين علم اللغة المعرفي والنحو العربي"، مجلة جامعة الملك سعود، مج 17، سنة 2004

ابن غربية، عبد الجبار. مدخل إلى النحو العرفاني" كلية الآداب والفنون والإنسانيات منوبة تونس ط 1 مسكيلياني للنشر والتوزيع 2010

كروميش، حنان: مصطلحات اللسانيات العرفانية في البحث اللساني العربي، مجلة جسور المعرفة المجلد 7، العدد 2، 2021

تلقي اللسانيات العرفانية في الخطاب اللساني العربي، مقال مشترك مع الباحث يوسف منصر، حوليات جامعة قالمة العدد 27، سنة النشر 2019

لايكوف، جورج وجونسون، مارك، الاستعارات التي نحيا بها" ترجمة عبد المجيد جحفة دار توبقال للنشر الدار البيضاء ط 1، 1996

حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل، ترجمة عبد المجيد جحفة وعبد الإله سليم، دار توبقال للنشر المغرب 2005م مقدمة المترجمين

القلفاط، المنجي، الاستعارة في المنظورين التداولي والعرفاني"، حوليات الجامعة التونسية، العدد 57 2012